الفصل السادس عشر

الذاكرة الجمعية وقيادة الجماعات المتباينة

دراسة حالة إسرائيل

إيريت كينان

جامعة حيفا

الذاكرة الجمعية هي ذاكرة ما مرَّت به جماعة من الجماعات بصورة مشتركة، وهي مفهوم مستقل عن الذاكرة الفردية.[1] إنّها الماضي الذي عاشته الجماعة وتناقلته وركّبته، وذلك ضمن العلاقة المتشابكة بين معرفتها التاريخية وإطار العمل السياسي الاجتماعي الحالي. والذاكرة الجمعية قوة جبارة تعزِّز تماسك جماعة «نحن»، عن طريق تعزيز الأساطير والرموز العرقية في المقام الأول، لترسم بعدئذٍ حدوداً فاصلة واضحة بين الجماعة وغيرها.[2]

تكتسي الذاكرة الجمعية أهمية كبرى في أوقات الصراع، وكلّما كان الماضي أكثر إيلاماً، كانت الذاكرة الجمعية أشدّ وقعاً على الحاضر؛ لأنّها تبعث الماضي إلى الحياة مجدَّداً في أوقات التهديد. وقد تزداد شدّة هذا التأثير إلى حدّ يتعذّر عنده التمييز بين الماضي والحاضر. وتبقى المجتمعات في بعض الأحيان أسيرة شبح الماضي المؤلم، فيؤدي ذلك إلى تعزيز تماسك جماعة «نحن»، واندلاع مزيد من الصراعات مع جماعة «الأغيار».[3] ويُعَدّ تماسك جماعة «نحن»، مثلما يوضِّح بيتنسكي وسيمون وفيتزدوف، من الآليات المهمة لقيادة ناجحة. وقد يدفع ذلك القادة

إلــى تعزيزها على حساب العلاقات مع الجماعات المتباينة.[4] وغالباً ما يستخدم القادة الذاكرة الجمعية للوصول إلى هذه الغاية على نحوٍ شعوري أو ضمني.

يركِّــز هــذا الفصل على أسلوب القادة في استخدام تأثيــر الذاكرة الجمعية في الصراعات الجاريــة والمتواصلة. والذاكرة الجمعية عامــل مؤثِّر (مع أنّها ليست العامل الوحيد) في استجابة الجماعــات للصراعات، ولها تأثيــر هائل في أثناء التهديدات الأمنيــة المرتبطة بقضايا سياسية اجتماعية خطيرة، أو خلال مراحل الحلّ التي تحمل في طيّاتها إجراء تسويات ما. وفي واقع الأمر، يستطيــع بعض القادة، عندما يحسنون التعامل مــع الذاكرة الجمعية إستراتيجيــاً، الحيلولة دون التوصل إلى حلّ سلمي، والتشجيع على أعمال العنف عن طريق تذكير الجماعة بإمكانية تكرار مآسي الماضــي، وهذا ما يفضي إلى إنتاج رموز محمّلــة بالمشاعر تعزِّز شعبية السياسات المتطرفة.[5]

وفي الوقت الذي يصوِّر فيه النص (السيناريو) السابق الاستخدام العادي للذاكرة الجمعية مــن قبل السياسيين، يقول هذا الفصل بوجود بدائل. إنّ الهــدف المركزي لهذا الفصل، بدراسة حالة إسرائيل، هو البرهان على أنّ القادة يمكنهم أيضاً استغلال الذاكرة الجمعية لتحقيق التسوية، والتخفيــف من حدّة الصراعات مع جماعات «الأغيار»، وسأستكشــف العوامل التي تؤدي دوراً في استخــدام من هذا القبيل. ومــع أنّ بحوثاً كثيرة تناولت الذاكرة الجمعية من مناظير متنوعة، فإن هذه الإمكانية لم تُستكشف بعد.

تمتاز الذاكرة الجمعيــة بطبقات متنوعة، ويرتبط بعضها بحادثة مؤلمة مهيمنة على ماضي الجماعــات، ويرتبط بعضها الآخر بأوقات باهرة من القوة والتجــدّد الوطني، بل إنّ بعضها يمكن تقاسمــه مع جماعة «الأغيار». ويبيِّن هذا الفصل كيف يتمكّــن القادة من توظيف طبقات الذاكرة الجمعيــة المناسبــة بحكمة للتخفيف من حدّة الصراعات. ومن ثَمّ فهــو يُسهِم (الفصل) إسهاماً فاعــلاً في تغييــر الصورة النمطية السائــدة؛ بتقديمه بديلاً إيجابياً لاستخــدام الذاكرة الجمعية السلبي المألوف.

لقــد وقع الاختيار على دراسة حالة إسرائيــل؛ لأنّ الذاكرة الجمعية تُسهِم إسهاماً فاعلاً في حياة إسرائيل وثقافتها، ولا سيما أنّها طرف في صراع متواصل دائرٍ حالياً. ويؤدي هذان المكوّنان إلــى انتشار استخدام الذاكرة الجمعية وإكسابه أهميــة فائقة.[6] وتُعَدّ حالة إسرائيل، إضافة إلى

ذلـك، مثالاً فريداً على استخدام السياسيين الذاكرة الجمعية في خدمة برامج متعارضة جذرياً. ومـن ثَمّ تقـدِّم مقارنة الأساليب التـي يستخدمها القادة أصحاب التوجهـات المختلفة، تصورات مهمـة عن العمليـات والمزايا اللازمة لتوظيف الذاكـرة للمصالحة، عوضاً عـن توظيفها لتأجيج الصراعات أو إبقاء جذوتها مشتعلة.

يبدأ الفصل بشرح الأسلوب. ويجري بعد ذلك استكشاف أسلوب القادة في توظيف الذاكرة الجمعية؛ بطرح أمثلة من التاريخ الإسرائيلي. يلي ذلك بيان كيف يستخدم القادة الذاكرة الجمعية علـى نحوٍ إستراتيجـي لتأجيج الصراع، مع التشديـد على تأثير الماضي المؤلـم واستخدامه من خـلال مراجعـة سلوك رئيس الوزراء مناحيـم بيغن في أثناء حرب لبنان عـام 1982م. ثمّ يتناول الفصـل كيفية استخدام القـادة الذاكرة الجمعية على نحـوٍ إستراتيجي بهـدف تحقيق التسوية، مستشهِـداً بسلـوك رئيس الوزراء إسحـاق رابين إبّان عملية السلام مـع الفلسطينيين في الحقبة الممتـدة بين عامي 1993م، و 1995م، وبأنشطة القيادات الشعبيـة من آباء مفجوعين ومحاربين قدمـاء دعموا التسويـة التي أتت من بعده. ويتطـرّق – هذا الفصل– إلى المزايـا والمبادئ التي استرشدت بها إستراتيجيات هؤلاء القادة. وأخيراً، ينتهي الفصل بخاتمة وتعميمات.

الأسلوب

إنّ المصـدر الأولي لهـذا القسم، هو مجموعـة كبيرة من المداولات والكلمـات التي ألقاها قـادة سياسيون فـي الكنيست خلال الأحداث التي نناقشها.[7] وتميـط هذه الكلمات والمناقشات اللثـام عن أعمق المشاعـر والمخاوف والآراء الراسخة لدى الجمهـور من مختلف جوانب الطيف السياسـي. لقد نالت جميع المناقشـات والكلمات ذات الصلة ما تستحقه من دراسة وتأمّل. ويبرز مـن بين المواد قائدان كبيران عند نقطتي تحوّل في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، تُعَدّ مسيرة كلّ منهمـا نموذجية لإيضـاح استخدام الذاكرة الجمعيـة من قبل القادة، وهـذان القائدان هما: مناحيـم بيغن (رئيس وزراء إسرائيل بين عامي 1977م، و 1983م)، وإسحاق رابين (رئيس وزراء إسرائيـل في الأعـوام: 1974م – 1977م، و 1992م – 1995م). لقد عَدَّ كلاهما الذاكرة الجمعية أداة سياسية، واستخدماها بكثرة في حشد الدعم لقيادتهما وتصوراتهما بشأن خيارات إسرائيل خـلال الأحداث الحاسمة إبّان عهديهما. لذا، يركِّز هذا الفصل على تحليل سلوكهما وخطاباتهما في أثناء تلك الحقب.

بدايـةً، فقـد استُخدِمت كلمات بعض الأعضاء في الكنيسـت لتحليل أثـر استخدام القادة الذاكرةَ الجمعية في الجمهور والسياسيين الآخرين، ولفهم الصعوبات التي يواجهها هؤلاء القادة عندمـا يحاولـون تغيير تصورات الجمهور عـن الماضي والحاضر، إضافة إلـى استغلال الذاكرة الجمعية استغلالاً إيجابياً. وجرت مراجعة الصحف الإسرائيلية البارزة بوصفها مصادر معاصرة؛ وذلك لرصد الجو الشعبي، وتقدير تجاوب الجمهور مع جهود القادة في المقام الأول. [8]

يستنـد هذا الفصل إلى أمثلة من جانب واحد فقط من جانبي الصراع؛ بهدف التركيز على استخـدام الذاكرة الجمعية من قادة جماعة «نحن» أنفسهم (لأهداف متعارضة فقط)، وللتركيز على تجاوب هذه الجماعة مع سلوكهم إزاء جماعة «الأغيار».

القادة واستخدام الذاكرة الجمعية الإستراتيجي للدفع نحو الصراع

تتقاسم الجماعات التي مُنِيت بخسائر فادحة «**صدمة مختارة**»، وهذه عبارة وضعها فاميك دي. فولـكان لوصف الخيار اللاشعوري الذي تتخذه جماعة كبيرة؛ بإضافة التصور الذهني لجيل سابـق عن حدث مشترك إلى هويتهـا. [9] والصدمة المختارة حدث شديد مثير لم تَشفَ الجماعة من آثاره بعدُ، ويرتبط بأحداث قاسية أخرى، أو حتى بأحداث مؤلمة في ماضي الجماعة.

لا شـكّ فـي أنّ المحرقة (الهولوكوسـت) هي الصدمة المختارة فـي التاريخ اليهودي، التي تلقي بظلالها على مختلف جوانب السيكولوجيا الوطنية. وتُعَدّ، من دون جدال، دليلاً على ضرورة تأسيس دولة يهودية مستقلة، تدافع عن حياة اليهود وحقوقهم. [10] وتؤكِّد أيضاً على مفهوم توحيد العدو، وتحديداً الاعتقاد أنّ الشعب اليهودي ما انفك يواجه الخطر الوجودي ذاته على الرغم من تغيّر هوية العدو. [11]

فـي مقابل خلفية الصورة هذه، سـاوى مناحيم بيغن بين التهديد الآتي من الحدود اللبنانية فـي صيف عام 1982م وخطر المحرقـة. وفي الخامس من حزيران من العـام نفسه، شرح رئيس الوزراء لحكومته الأسباب التي تجعل غزو لبنان الخيار الوحيد، بقوله: «البديل الوحيد للحرب هو تريبلينـكا». [12] ولم تترك مقارنة مـن هذا القبيل خياراً آخر سوى العمل العسكري: «الحرب تعني الخسائـر... والخسائر تعني حداداً وأيتامـاً»، ولكن «معسكر أوسشويتز بديل غير مقبول». [13] وما

كانت هاتان الملاحظتان سوى غيض من فيض ملاحظات بيغن الكثيرة التي تعزف على الوتر نفسه. لقد قارن إطلاق صواريخ الكاتيوشا على شمال إسرائيل باضطهاد اليهود وأبنائهم من قبل النازيين؛ وشبّه منظمة التحرير الفلسطينية بالغستابو؛ وساوى بين القرار النازي بقتل كلّ يهودي يُقبَض عليه وأعمال منظمة التحرير الفلسطينية في الشرق الأوسط في تلك الأيام: «ثمّة مقولة في الشرق الأوسط هذه الأيام: ما من يهودي بريء، ويجب أن يموت اليهود جميعاً». [14]

كانت المحرقة مهيمنة على شعور بيغن بشدّة، حتى أنّه عَدَّها طوال مسيرته البوصلةَ التي تُرشِد إسرائيل إلى الطريق الصحيح. [15] ولكنّ كلماته في يونيو عام 1982م تجاوزت حتى خطابه المعهود؛ إذ أعاد بيغن إحياء الصدمة المختارة لدى الشعب اليهودي، وهي ممارسة يلجأ إليها القادة في أوقات التهديدات الأمنية. [16] وعندما يستحضر القادة الصدمة المختارة في الحياة المعاصرة، فإنّهم يولِّدون إحساساً بخطر مستمر مباشر مُحدِق بالجماعة، يفاقم كثيراً المخاوف الوجودية. ومن المعروف أنّ بعث المخاوف مجدّداً على هذا النحو ممكن عن طريق انهيار الزمن، وهو شكل متطرف من الضبابية النموذجية التي توجدها الذاكرة الجمعية في الصلات الشعورية واللاشعورية بين صدمة سابقة وتهديد حالي. [17]

كان بيغن، وهو نفسه أحد الناجين من المحرقة، أسير صوره عن الماضي، التي استخدمها في الوقت نفسه لدعم قيادته وقراراته. وكان أحياناً يعتقد أنّه يحارب هتلر فعلياً: «أشعر أنّني رئيس وزراء مفوض بقيادة جيش مقدام يواجه برلين، حيث يختبئ هتلر وأتباعه بين المدنيين الأبرياء في سرداب عميق تحت الأرض». [18] كتب بيغن هذه الكلمات في رسالة رسمية موجَّهة إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعد شهرين من احتجاج الكاتب الإسرائيلي المشهور عاموس أوز على انهيار الزمن هذا تحديداً، مذكِّراً رئيس الوزراء أنّ «هتلر ليس مختبئاً في النبطيّة أو صيدا أو بيروت، وأنّه مات واحترق». [19] كان ذلك الصوت صوت أقلية في الجمهور الإسرائيلي قاومت الاستحضار الوحشي للمحرقة. وحاول أوز إزالة انهيار الزمن وفضح منطق بيغن المناور، ولكن من دون جدوى. وفي ضوء مقارنات من هذا القبيل، لم يعد ثمّة متسع لضبط النفس أو الحلول السياسية. وفعلاً، فقد توحَّدت أكثرية الجمهور اليهودي الإسرائيلي من مختلف الأطياف السياسية خلف قرار رئيس الوزراء القاضي بالرد على التوتر باستخدام القوة العسكرية الجبارة. [20]

وفـي واقع الأمر، قد تغدو الذاكرة الجمعية سلاحـاً ذا حدّين. فعند الفشل في تأمين إجماع بشـأن أهداف تُعَـدّ مشروعة ضد جماعة «الأغيار»، تغدو الذاكـرة الجمعية عامل تقسيم أكثر من كونها عاملاً يعزّز تماسك جماعة «نحن». ومن المثير للسخرية أنّ بيغن نفسه وقع ضحية استخدام أتباعـه الذاكرة الجمعية ضد قرار الانسحـاب من صحراء سيناء بموجب بنود اتفاقية السلام مع مصر، التي وقّعها بنفسه قبل بضعة أشهر من حرب لبنان عام 1982م. ومع أنّ المعارضة أتت من مجموعـة صغيرة متطرفة، فإنّها تحدّت قيادة بيغن على نحـوٍ أصابه بالصدمة. [21] ولكنّه استعاد دعـم أتباعه الكامل بعـد بضعة أشهر، ليصبح من جديد سيد الذاكـرة الجمعية، ويستخدمها في تبرير الذهاب إلى الحرب عبر الحدود الشمالية.

القادة واستخدام الذاكرة الجمعية إستراتيجياً للدفع نحو التسوية

ترمـي التسويـة إلى إقامـة علاقات سـلام طويلة الأجل بيـن الجماعات التـي اشتركت في صراعـات عنيفـة متواصلة. وتُعَدّ التسويـة تتويجاً لاتفاق حيال قضايا اجتماعيـة سياسية. [22] ولا بُـدّ من مرحلة تمهيدية، قبل أن تسمح المجتمعات لقادتهـا بالالتزام بأيّ اتفاقية من هذا القبيل. وهـي مرحلة تُسهِم في تهيئة المجتمعات لخيار التنازلات من دون السماح لأشباح الماضي المؤلم بإعاقـة التسويـة المحتملة. تؤدي الذاكـرة الجمعية في هذه المرحلة التمهيديـة دوراً رئيساً. وفي ضـوء تأثيرهـا الكبير في إبقاء جـذوة الصراعات مشتعلة، أو حتى تأجيجهـا مثلما أوضحنا آنفاً، سنبيِّـن لاحقاً كيف يستطيع القادة استحضار الذاكـرة الجمعية لتخدم الهدف المعاكس، وتحشد الدعم للتسوية.

اضطر إسحاق رابين، بعد أن قرَّر التفاوض مع الفلسطينيين على اتفاقية السلام عام 1993م، إلـى إقناع الجمهور الإسرائيلي بـأنّ رسم صورة مغايرة للعدو السابق أمر ممكن. واضطر، إضافة إلـى ذلك، إلى مواجهة مخاوف إسرائيل الوجودية، التـي زاد من حدتها الوجود المخيّم للمحرقة في الذاكرة الجمعية الإسرائيلية. وقد لجأ رابين إلى استخدم إستراتيجية ثلاثية الأجزاء: احتواء ذكريات المحرقة الرهيبة، والتركيز على الذاكرة الجمعية للصراع بحدّ ذاته، وإثارة التعاطف مع معاناة الأعداء السابقين، ومن ثَمّ إيجاد طبقة من الذاكرة الجمعية يستطيع المجتمعان تقاسمها.

وعلى النقيض من تفسير بيغن للمحرقة، الذي يقول إنّها دليل دامغ على ضرورة الفصل والاعتماد على تعزيز القوة العسكرية بصورة دائمة، فقد تبنّى رابين وجهة نظر الأمّة الواثقة بنفسها التي يمكنها أن تختار توجيه مصيرها إلى مستقبل مسالم آمن، وعَدّ المحرقة ذكرى مؤلمة لا شأن للأحداث الحاضرة بها. كان رابين مؤمِناً بالسيكولوجيا الوطنية للمحرقة، وشديد التأثُّر بها. [23] فهو أيضاً يؤمِن بأنّ الفلسطينيين اضهدوا اليهود لمجرّد أنّهم يهود، مثلما اضطهدهم أعداؤهم السابقون. لكنّ رابين، وعلى النقيض من بيغن، [24] لم يكن أسير الماضي المرعب، فآمن بضرورة ألّا يحفظ التاريخ انطباعاً ذاتياً لشعب تحت الحصار. [25] وهذه سمة سائدة في التفكير الإسرائيلي. وعلى نحو ما قال رابين أمام الكنيست: « إنّ قرار تحرير أنفسنا من إحساس الانعزال الذي سيطر علينا زهاء نصف قرن تقريباً عائد إلينا نحن». [27]

ركّز رابين في أكثر خطاباته ما بين عامي 1993م، و1995م على أحدث طبقة من الذاكرة الجمعية الإسرائيلية: ذاكرة التجدّد الوطني والصراع مع الفلسطينيين الذي كان جزءاً رئيساً من تاريخ إسرائيل منذ تأسيسها. وعلى النقيض من ذاكرة المحرقة المحبطة، تمكّن رابين، اعتماداً على هذا الجزء من التاريخ، من التركيز على نفقات الحرب، وعلى حرية اتخاذ القرار بإنهائها أيضاً. وزيادة على ذلك، فقد أتاح له استحضار آلام الحرب بصفته موضوعاً رئيساً في الذاكرة الجمعية بزيادة التعاطف مع الآلام المماثلة التي يعانيها الفلسطينيون، وبإرساء أساس لتطلعات مشتركة في إنهاء المأساة، ومن ثَمّ الصراع.

أظهرت الدراسات المتعلّقة بالمناطق التي اندلعت فيها الحروب، أنّ التعاطف مهم وعظيم الأثر في عملية التسوية؛ نظراً إلى ما يتمتع به من قدرة على رسم صورة مألوفة أقل تهديداً للعدو السابق. [28] وكان التشجيع على مشاعر من هذا القبيل تجاه الفلسطينيين صعباً – إلى حدّ كبير– على شخص قضى معظم سني عمره في محاربتهم، ولم يُظهِر قطّ تعاطفاً معهم، ولا سيما في أثناء الانتفاضة الأولى (1987م– 1990م). ولكنّ رابين كان معروفاً بحساسيته الشديدة تجاه فقدان الجنود ومعاناتهم مهما كانوا. ولعلّ هذه الحساسية عزَّزت استحضاره الفريد للذاكرة الجمعية، الذي عبَّر عنه أول مرّة قبل خمسة وعشرين عاماً في ذروة مجده إبّان توليه منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي المنتصر في حرب حزيران عام 1967م. ففي خطاب النصر، وجد رابين أنّ زيادة التعاطف مع معاناة العدو ضرورية إلى جانب الشعور بالآلام التي قاساها

جنـوده: «لم يشاهد الرجال علـى الجبهات عظمة النصر بأعينهم المجـردة فحسب، بل شاهدوا نفقاته الباهظة، ورأوا بأم أعينهم رفاقهم يسقطون بجانبهم مضرجين بالدماء أيضاً. وأنا أعرف أنّ الثمن الباهظ الذي دفعه العدو قد أثار مشاعر كثير من رجالنا». [29] كانت هذه الكلمات كلمات شجاعة بصورة استثنائية، في وقت كانت فيه إسرائيل لا تزال في حالة حداد على قتلاها.

وبوجـه عام، تُطـوِّر الجماعـات المتحاربـة أنواعـاً منفصلـة متضاربة من الذاكـرة حيال الصراع، وتنكر قصة العدو التاريخية، وقد يفضي ذلك إلى نشوب مزيد من الصراعات. [30] لذا، كانـت محاولة رابين إيجاد طبقة مشتركة متعاطفـة من الذاكرة الجمعية عملاً استباقياً، قد يغيِّر الصـورة النمطية لجماعة «الأغيار» بوصفها تهديداً صرفاً. واظـب رابين على تقديم وجهة نظره التي تتحدث عن الألم المشترك، حتى عندما تحدّث عن أقدس قيم الشجاعة الإسرائيلية ومُثلها، وحتـى في أحلك ظروف الصراع. وفي الذكرى العشرين لحرب أكتوبر عام 1973م؛ أكثر الحروب إيلاماً وبطولة في تاريخ إسرائيل، تجنَّب رابين الخطاب المألوف عن البطولة والتضحية بالنفس، مشـدِّداً، عوضاً عن ذلك، على عبرة محدودية القوة العسكرية، وإمكانية إيجاد الحلول السياسية، وهي دروس اعتقد أنّ إسرائيل وأعداءها قد تعلّموها. [31] بعد ذلك، وفي خضم الهجمات الإرهابية الضخمـة ضـد الإسرائيليين عـام 1994م، والاتهامات المتصاعدة الموجَّهة إليـه بوصفه مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن موت عشرات الإسرائيليين، وعن تدهور الأوضاع الأمنية منذ توقيع اتفاقيات أوسلـو؛ واصـل رابين حديثه عن ألـم الفلسطينيين ومعاناتهـم التي تعادل معانـاة الإسرائيليين. وعرض أمام الكنيست تفاصيـل عن مئات القتلى والجرحى من الطرفين خلال أعوام الانتفاضة، ولم يتردّد في ذكر آلام الفلسطينيين وحياتهم الشاقة تحت نير الحكم الإسرائيلي. [32]

لقـد أثبت اغتيال رابين عـام 1995م – بوضوح شديد– عجز هـذه الإستراتيجية عن طرد جميـع أشباح الصدمة اليهودية المختـارة المخيفة، التي استحضرها خصومه بكثرة. [33] وحفلت الصحافـة الإسرائيليـة عام 1994م، و 1995م ببيانات من سياسييـن يهدفون إلى إحباط التسوية مـع الفلسطينيين وتحدي قيـادة رابين. فقد واظبوا على تصوير الاتفاقيـات على نحوٍ يوحي بأنّها ستُفضـي إلى محرقـة جديدة، ونعتوا رابين نفسـه بالشيطان النازي. وأطلقـوا أيضاً اسم «حدود أوسشويتـز» بصورة منهجية على حدود إسرائيل المقترحة بموجـب اتفاقيات أوسلو، قائلين: «إنّ رابين كان يدفع إسرائيل نحوها». [34] ولم تشهد إسرائيل قطّ تحريضاً بمثل هذه الشدّة يلوِّح مهدِّداً

بذاكرة المحرقة بوصفه سلاحاً مدمّراً. وفي النهاية، أوجدت هذه الدوافع تبريراً أخلاقياً لاغتيال رئيس الوزراء. [35] يُثبِت هذا التطور قوة الذاكرة الجمعية الهائلة في إثارة المخاوف ومشاعر النقمة والكراهية. وغالباً ما يكون القادة أصحاب المحاكمات المنطقية في وضع لا يُحسدون عليه قطّ عندما يتنافسون مع رموز عاطفية. [36] هذا من دون أن ننسى القادة الذين يحاولون استخدام الذاكرة الجمعية لتحقيق الهدف المضاد، وتعبئة الدعم لترك الماضي المؤلم خلفهم، والعمل من أجل التسوية.

لكن إرث رابين لم يُدفن معه؛ إذ دعمت الأكثرية الشعبية عملية السلام، وقبلت التسوية على صعيد الأراضي بعد لأي. لقد اغتيل رابين على يدي متشدِّد، لكنّ محاولات إيقاف عملية السلام باستحضار ذكرى المحرقة مُنِيت بالفشل. ولا يثبت هذا عظمة قيادة رئيس الوزراء رابين فحسب، بل قدرة إستراتيجيته على الاستمرار أيضاً.

إضافة إلى ذلك، أسَّس الإسرائيليون والفلسطينيون في الأعوام الأخيرة مجموعات تهدف إلى تقاسم الذاكرة الجمعية للألم والفاجعة، واستخدامها من أجل تحقيق التسوية. وأسَّس الآباء الذين فقدوا أبناءهم من الطرفين منتدى العائلات الثكلى الداعم للسلام والمصالحة والتسامح. [37] وأسس المحاربون القدماء الفلسطينيون والإسرائيليون حركة «مقاتلون من أجل السلام»، وهي حركة تسعى لإيقاف دائرة العنف عن طريق رفع وعي المجتمعين بآمال المجتمع الآخر ومخاوفه ومعاناته. [38] حيث تزعم كلٌّ من المجموعتين أداء دور في قيادة الجماعات المتباينة، وهما تتوليان مهمة نشر أفكار شبيهة بأفكار رئيس الوزراء رابين. لكنّهما تتقدَّمان عليها خطوة إضافية؛ إذ تصنعان من صدمات الماضي وآلامه، التي سبَّبها كلّ طرف للآخر، رافعة لإنشاء خط انطلاق جديد للعلاقة بين الجماعتين المتصارعتين. وزيادة على ذلك، تتعامل المجموعتان مع صدمات الماضي بوصفها مزايا مؤثِّرة بما فيه الكفاية لتصبح عنصراً إضافياً من الهوية المشتركة مع جماعة «الأغيار». ويساعد الاتكاء على صدمات الماضي في بناء هوية عليا جامعة لضحايا الصراع، وهي هوية شاملة تضاف إلى الهويات المنفصلة، وحتى المتعارضة، للجماعتين مثلما هو حال الإسرائيليين والفلسطينيين.

يُعَدّ التعاطف موضوعاً رئيساً في استخدام الذاكرة الجمعية على نحوٍ إيجابي. وقد يضفي الألم المشترك على الآخر وجهاً مألوفاً جديراً بالتعاطف، ثمّ يغيِّر أنماط الموقف الشخصي

الأساسية المتبادلة بين أعضاء الجماعتين، ولاحقاً بين المجتمعين.[39] ولا تسعى هاتان المجموعتان إلى مجرّد الحدّ من استخدام الأحداث المؤلمة في مفاقمة الصراع فحسب، بل تسعيان أيضاً إلى تحويلها إلى رمز فاعل قد يُفضي إلى التسوية، عوضاً عن كونها قصة تهديد وانتقام. حيث تشبه وجهة النظر هذه نظرية بيتنسكي عن محبّة الآخر (allophilia)؛ أي إيجاد المواقف الإيجابية تجاه الآخر.[40] ويرى بيتنسكي أنّ تخفيض منسوب الكراهية أو إيجاد التسامح ليس كافياً لمنع تدهور علاقات الجماعات المتباينة في أثناء أزمة ما، وأنّه يجب التشجيع على محبّة الآخر بصورة مستقلة؛ وذلك لتخفيض منسوب الكراهية، والتشجيع على علاقات إيجابية بين الجماعات المتباينة في الوقت نفسه. ختاماً، يُظهِر بروز الجماعات الإسرائيلية الفلسطينية أنّ استحضار الذاكرة الجمعية ليس حكراً على القادة السياسيين الرسميين فقط، بل إن القادة الشعبيين العاديين قادرون على القيام بذلك أيضاً، حيث يؤدي استخدامهم الإيجابي للذاكرة الجمعية دور أداة قيادية قادرة على تحرير المجتمعات من عبودية العداوة المتبادلة.

خلاصة

يُظهِر هذا الفصل إمكانية استخدام الذاكرة الجمعية في تحقيق التسوية على الرغم من ندرة حدوث ذلك، ويُقدِّم المزايا الرئيسة لهذا الاستخدام.

إنّ الذاكرة الجمعية، ولا سيما الطبقة التي ترتبط بماضٍ مؤلم، مصدر فاعل في متناول اليد لتعزيز التماسك الاجتماعي والقيادة. وهي (الذاكرة الجمعية) فاعلة على نحوٍ خاص لدى الجماعات المنخرطة في صراعات متواصلة؛ لأنّ الرموز التي تُنتِجها مرتبطة بجو الخوف والكراهية الذي تعيشه هذه الجماعات. لذا، يستحضر القادة الذاكرة الجمعية على نحوٍ يُسهِم في تأجيج الصراع مع جماعة «الأغيار» في أكثر الأحيان.

لكنّ هذه الدراسة تُظهِر وجود بديل يتمثَّل في استحضار الذاكرة الجمعية خدمة للتسوية. وهذا البديل أكثر صعوبة، ويُرجَّح أنه سيضع القادة في مواجهة معارضة عنيفة وقوية من جمهور غارق في ماضيه المؤلم.

أمّا السمة المركزية في استخدام الذاكرة الجمعية إيجابياً فتتمثَّل في مراعاة طبقات الذاكرة المختلفة، والتركيز على طبقة الصراع نفسه، مع إبقاء الألم الذي سبَّبته صدمة الجماعة

المختارة منفصلاً عن الأحداث الحالية. وفي هذه الطبقة من الصراع، يجري التركيز على نفقات الحرب التي يتكبّدها الطرفان بوصفها جزءاً يمكن تقاسمه مع جماعة «الأغيار»، ويسمح بالتعاطف مع آلامها. ومن شأن الحزن المشترك هذا أن يعزِّز التطلعات المشتركة بهدف إنهاء الحروب.

أضف إلى ذلك أنّ هذه الطبقة المشتركة قد تُسهِّل القيام بخطوة جريئة، تتمثَّل في الاعتماد على صدمات الماضي بوصفها أساساً لإنشاء هوية مشتركة لضحايا الصراع، عوضاً عن استخدامها في إثارة القلق والفصل. وهي هوية عليا جامعة تشمل هويتي الجماعتين المنفصلتين. وتحوِّل هذه العملية نتائج العنف الدموية التي أنزلها كلّ مجتمع بالمجتمع الآخر، إلى خط انطلاق جديد لعلاقة تتسم بالتعاطف والتفهّم بين جماعة «نحن» وجماعة «الأغيار».

ووفقاً لما سبق، تشير السمات المبينة في دراسة الحالة الإسرائيلية كيف يمكن تسخير الذاكرة الجمعية لتحقيق أهداف سلمية بوساطة قيادة الجماعات المتباينة في صراعات أُخرى. وما دامت هذه الرؤية لاستخدام الذاكرة الجمعية بصورة إيجابية قد ولدت بالرغم من وطأة الصدمة اليهودية المختارة التي اتسمت بشدتها وطغيانها، وعلى الرغم من الألم الشديد المتواصل الذي أنزله كلٌّ من المجتمعين بالآخر؛ فإنّ ذلك يعزِّز الثقة بإمكانية استخدام الذاكرة الجمعية في خدمة السلام.

Notes

ملحوظة من الكاتب: يتقدَّم الكاتب بالشكر إلى تود بيتنسكي، وإلى ثلاثة مراجعين مُغْفلين على اقتراحاتهم وتوصياتهم البنّاءة والمفيدة، وإلى يالي حشاش على المساعدة البحثية الممتازة.

(1) Maurice Halbwachs, On Collective Memory (Chicago: University of Chicago Press, 1992).

(2) Barry Schwartz, “The Social Context of Commemoration: A Study in Collec– tive Memory,” Social Forces 61, no. 2 (1982): 374–402.

(3) Dominick La Capra, Writing History, Writing Trauma (Baltimore and Lon– don: The Johns Hopkins University Press, 2001), chapter 2.

(4) Todd L. Pittinsky and Stefanie Simon, “Intergroup Leadership,” Leadership Quar– terly 18, no. 6 (2007): 586–605; and Mari Fitzduff, “Ten Things Lead– ers Ought to Know— and Do—About Conflicts and War,” in Leadership Is Global, ed. W. Link, T. Corral, and M. Gerzon (Tokyo: Shinnyo–en Founda– tion, 2007), 87–110.

Obeikandl.com

(5) Stuart J. Kaufman, "Symbolic Politics or Rational Choice? Testing Theories of Ex− treme Ethnic Violence," International Security 30, no. 4 (2006): 45−86.

(6) See Yael Zerubavel, Recovered Roots, Collective Memory and the Remak− ing of Israel Na− tional Tradition (Chicago: Chicago University Press, 1995); Anita Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881−1948, trans. William Templer (New York: Oxford Univer− sity Press, 1992); Idith Zertal, Israel's Holocaust and the Politics of Nationhood (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2005); and Irit Keynan, "Re'i Adama: Patterns of Coping with the Loss of Soldiers in Israel" (Final Thesis, National Defense College, 1996) (Hebrew).

(7) Knesset is the Israeli parliament. All the deliberations and speeches can be found in the Knesset archives and online: http://www.knesset.gov.il. Col− lective Memory and Intergroup Leadership 229

(8) All quotations, from all sources, were translated from Hebrew by the author of this chapter.

(9) Vamik D. Volkan, "Large−Group Identity and Chosen Trauma," Psycho− analysis Downunder 6 (2005), http://www.psychoanalysis.asn.au/dow− nunder/backissues/6/427/large_group_vv.

(10) Irit Keynan, Holocaust Survivors and the Emissaries from Eretz−Israel: Dis− placed Per− sons Camps in Germany 1945−1948 (Tel Aviv: Am Oved, 1996) (Hebrew).

(11) Daniel Bar−Tal, Living with the Conflict: Socio−psychological Analysis of the Jewish Soci− ety in Israel (Jerusalem: Carmel, 2007) (Hebrew); Zertal, Israel's Holocaust and the Politics of Nationhood.

(12) Cabinet meeting, June 5, 1982, cited by Aryeh Naor, Government at War: How the Israeli Government Functioned during the Lebanon War (1982) (Tel Aviv: Yedioth Aharonoth Press, 1986), 47 (Hebrew).

(13) Cabinet meeting, June 6, 1982, cited by Ofer Grosbard, Menachem Begin: Portrait of a Leader (Tel Aviv: Resling, 2006) (Hebrew), 273.

(14) Menachem Begin speaking at the 95th session of 10th Knesset, June 8, 1982, http://www.knesset.gov.il.

(15) Yehiam Weitz, "Menachem Begin and the Holocaust" (paper presented at a semi− nar on Begin's heritage to mark the tenth anniversary of his death, Haifa, Israel, University of Haifa, March 20, 2002) (Hebrew).

(16) Volkan, "Large−Group Identity and Chosen Trauma"; Stuart Kaufman, Modern Hatreds: The Symbolic Politics of Ethnic War (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2001).

(17) Volkan, "Large−Group Identity and Chosen Trauma."

obeikandl.com

(18) Letter from Begin to President Ronald Reagan, Jerusalem Post, August 4, 1982.

(19) Amos Oz, "An Open Letter to the Prime Minister," Yedioth Aharonoth, June 22, 1982.

(20) See, for example, the editorial column in Yedioth Aharonoth, Israel's largest newspa− per, on June 6, 1982, which in essence said, "Now there is no op− position . . . now we are all one people in army uniform."

(21) Prime Minister Begin speaking at the 65th session of the 10th Knesset, March 2, 1982, http://www.knesset.gov.il.

(22) Bar−Tal, Living with the Conflict.

(23) Yitzhak Rabin speaking to the Knesset to mark fifty years of the Palmach, October 8, 1991, http://www.knesset.gov.il.

(24) Yitzhak Rabin speaking at the 129th session of the 13th Knesset, September 21, 1993, http://www.knesset.gov.il.

(25) Speech at Sachsenhausen concentration camp, September 16, 1992, http:// www.rabincenter.org.il/education/kits/gvulot_9years/marachai−shieur/ Pages/default.aspx.

(26) Shapira, Land and Power; Zertal, Israel's Holocaust and the Politics of Na− tionhood.

(27) 129th session of the 13th Knesset, September 21, 1993, http://www.knesset. gov.il.

(28) Jody Halpern and Harvey M. Weinstein, "Rehumanizing the Other: Empathy and Reconciliation," Human Rights Quarterly 26, no. 3 (2004): 561−583.

(29) The full speech can be found on the Knesset Web site: http://www.knesset. gov.il/rabin/heb/Rab_Bio.htm.

(30) Robert I. Rotberg, "Building Legitimacy Through Narrative," in Israeli and Pales− tinian Narratives of Conflict, ed. Robert I. Rotberg (Bloomington: In− diana University Press, 2005), vii; Elazar Barkan, "History on the Line, En− gaging History: Managing Conflict and Reconciliation," History Workshop Journal 59, no. 1 (2005): 229−236.

(31) Yitzhak Rabin speaking at the 129th session of the 13th Knesset, September 21, 1993, http://www.knesset.gov.il.

(32) 204th session of the 13th Knesset, April 18, 1994, the government's an− nouncement about the security and political situation, Yitzhak Rabin's speech, http://www.knesset.gov.il.

(33) Michael Karpin and Ina Friedman, Murder in the Name of God: The Plot to Kill Yitzhak Rabin (Tel Aviv: Metropolitan Books, 1999) (Hebrew). 230 Cases in Context

obeikandl.com

(34) Knesset member Rehavam Zeevi, January 1994, cited in Ha'ir Newspaper, Novem– ber 10, 1995.

(35) Aryeh Nadler, "Incitement and Assassination," in Assassination: The Murder of Rabin and Political Assassinations in the Middle East, ed. Charles S. Lieb– man (Tel Aviv: Yitzhak Rabin Center for Israel Studies and Am Oved, 1998), 35–48 (Hebrew).

(36) Kaufman, "Symbolic Politics or Rational Choice?"

(37) On the forum, its aims, and activities, see http://www.theparentscircle.org.

(38) On the movement, its aims, and activities, see http://www.combatantsfor– peace.org/default.asp?Ing=eng.

(39) Halpern and Weinstein, "Rehumanizing the Other."

(40) Todd L. Pittinsky, "Allophilia and Intergroup Leadership," in Building Lead– ership Bridges 2005: Emergent Models of Global Leadership, ed. Nancy S. Huber and Mark C. Walker (College Park, MD: International Leadership Association, 2005) 34–49. Pittinsky derives the term from the Greek word meaning "liking, or love of, the other."

Oupikanal.com